حركة سعادة الرّياحي صاحب طائفة "السنية" بنواحي بسكرة 702–739هـ/1303–1339م : دراسة في علاقة الديني بالمجتمع والسلطة خلال العصر الوسيط

The Movement of Sa'ada Al-Riyahi, Leader of Sunni Fraction, at the Outskirts of Biskra (H 702-739/C.E. 1303-1339): a Study of the Relationship between Religion and Society and Politics Throughout the Middle Ages.

د/ علي الهطاي

باحث في التاريخ الوسيط والحضارة–تونس[1]

تاريخ الاستلام: 2021/05/15 تاريخ القبول: 05 /2021/06 تاريخ النشر: 2021/06/30

الملخّص:

عرفت إفريقيّة الحفصيّة خلال القرن الثّامن الهجريّ/ الرّابع عشر الميلاديّ حركة دينيّة إصلاحيّة ذات مرجعيّة صوفيّة ببلاد الزاب، إلّا أنّها لم تكن كغيرها من مراكز التّصوّف الّتي تهتمّ بالجانب الرّوحيّ فقط، بل تفرّدت لتصبح حركة ذات بعد اجتماعيّ وسياسيٌ ممّا جعلها حركة بارزة في التّاريخ الصّوفيّ، فقد جمعت بين العصبيّة والدّعوة الدّينيّة، وكان لها الأثر البالغ في تنظيم العنصر الأعرابيّ وتأطيره ثمّ استقطابه لمواجهة المؤسّسة السّياسيّة المزنيّة.

Abstract

Ifriqiya witnessed during the Hafsid era in the B.H 8/C.E 14 century a religious reformation movement with a Sufi background in Zab. However, it was not like any other Sufi movements, that were only concerned with spirituality. Instead, it stood out with its social and political aspects, becoming a prominent movement throughout the Sufi history. It combined both tribalism and religious call, assuming a great role in organizing, orienting and incorporate the A'rab in facing the Muzni political institution.

الكلمات المفاتيح: إفريقية، العهدالحفصي، بلاد الزاب، بنو مزني، الطائفة السنيّة ، الدعوة الدينية.

Keywords: Ifriqiya, Hafsid Era, Zab, Banu Muzni, Sunni fraction, religious call.

مقدمة:

شهدت منطقة الزّاب الواقعة بين التلّ والصّحراء بغربيّ إفريقيّة الحفصيّة خلال القرن الثّامن الهجريّ/الرّابع عشر الميلاديّ حركة دينيّة إصلاحيّة ذات مرجعيّة صوفيّة، إلّاأنّها لم تكن كغيرها من مراكز التّصوّف الّتي تهتمّ بالجانب الرّوحيّ فقط، بل تفرّدت لتصبح حركة ذات بعد اجتماعيّ وسياسيٌ ممّا جعلها حركة بارزة في التّاريخ الصّوفيّ، فقد جمعت بين العصبيّة والدّعوة الدّينيّة، وكان لها الأثر البالغ في تنظيم العنصر الأعرابيّ وتأطيره ثمّ استقطابه لمواجهة المؤسّسة السّياسيّة المزنيّة.وهنا لابدّ من الإشارة إلى تأثير التّغريبة الهلاليّة[2] في تكوّن الجغرافيّة البشريّة لإفريقيّة ولبلاد الزّاب خصوصا الواقعة بين التلّ والصحراء، إذ أنّ هذه المنطقة تحدّها شمالا سلسلة الأوراس وجنوبا الصحراء الكبرى، وهي تعرف بمنطقة الواحات[3]، ولامتداد سهولها اتّخذتها القبائل الهلاليّة مركزا لها بحكم نشاطها الرّعويّ وكذلك لبعدها عن مركز السّلطة السياسيّة سواء من الزّيريّين أو الحمّاديّين ثم الموحدّين والحفصّيين، وقد بسط المزنيّون سلطتهم على الزّاب، وقد كانت علاقة هذه القبائل في نفور دائم من السّلطة، أضف إلى أنّ صراعاتها فيما بينها كانت متتالية من أجل السّيطرة على أكبر قدر ممكن من مناطق النّفوذ للانتجاع.

وفي خضمّ هذه الوضعيّة السّياسيّة والقبليّة ظهرت حركة سعادة الرّياحي الّتي استطاعت أن تخلق تحوّلا جذريّا في الواقع القبليّ، وهذا ما دعانا إلى التّساؤل عن الآليّات الذّهنيّة الّتي أدّت إلى حدوث هذا التّحوّل عند كلا الجانبين، فالبعد الأوّل يتمثّل في تحوّل الدّعوة الدّينيّةونعني بها هنا الولاية[4] من مجرّد حركة تعنى بتعليم القرآن والعلوم الدّينيّة

والانقطاع عن العامّة والتّفرّغ كلّيّا للتّفكّر والتّأمّل والعبادة إلى حركة سياسيّة لها تأثير في المجتمع القبليّ البدويّ وقبولهم بتحمّل أعباء جديدة ساهمت في اتّصالهم بعامّة النّاس ووسّعت من شهرتهم وزادت في احتراز السّلطة منهم، أمّا البعد الثّاني فهو كيف استطاعت هذه الدّعوة الدّينيّة من أن تمثّل نقطة تحوّل هيكليّة في نمط المجتمع القبليّ الّذي تحوّل من مرحلة الصّراع والتناحر إلى مرحلة الانتظام داخل سلطة الولاية. فرغم محاولات السّلطة السّياسيّة المتعاقبة على المنطقة إخضاع هذا القبائل إلّا أنّها لم توفّق كلّيّا إلى إخضاع كامل المجال، فسرعان ما تسترجع هذه القبائل قوّتها بعد تضعضعها، فقد سعى الموحّدون في إطار صراعهم مع المايورقيّين، إلى محاولة ضبط هذه القبائل البدويّة بإفريقيّة من خلال الحملات العسكريّة التّأديبيّة وخاصّة بجنوب الأوراس، وقد قامت باصطحاب جانب هامّ من هذه القبائل إلى المغرب الأقصى في محاولة منها لتخفيف عبئهم وكذلك للاستعانة بهم في أعمالهم بمركز الدولة[5]، وذلك هو شأن الدولة الحفصية أيضافقد دأبت على دمج هذه القبائل داخل المجتمع واحتواء قوّتهم، إلّا أنّ طبيعة هذه القبائل القائمة على النّمط الرّعويّ على نطاق واسع أبت دائما الخضوع لسلطة الدّولة وهو ما سبّب تتالي الصّراعات داخل هذه القبائل البدويّة وقد تبعها انتشار الفوضى وانعدام الأمن الّذي سيكون ضرره واضحا على السّلطة السّياسيّة. ومن هذا المنطلق كان داعيا التّساؤل حول سبب فشل الدّولة في إخضاع هذه القبائل في حين نجحت السّلطة الدّينيّة المتمثّلة في شخص الوليّ في استمالة القبائل، أو لنقل بطريقة أخرى ما الّذي جعل هذه القبائل البدويّة ترفض الانصياع للدّولة في حين أنّها سارعت إلى الدّخول في دعوة سعادة الرّياحي؟وهو ما يستدعينا للبحث في المبادئ الإصلاحيّة لحركة سعادة الرّياحي، وقدرته في احتواء القبائل البدويّة تحت مؤسّسة الوليّ[6]، وتأثيرات هذه الحركة الدّينيّة الإصلاحيّة في السّلطة والمجتمع.

1– أسس الدّعوة الإصلاحيّة لسعادة الرّياحي:

1.1 النّشأة العلميّة :

قد رافق الوضعيّة السّياسيّة والقبليّة لبلاد المغرب وإفريقيّة خصوصا ظهور تيّارات دينيّة بالمنطقة منذ الزّمن الموحّديّ والمتمثّل في حركة التّصوّف السّنّيّ، والّتي انتشرت في الحواضر وأيضا بين القبائل الدّاخليّة. وتعود جذور هذه الظّاهرة لأبي مدين شعيب "صاحب بجاية"[7]، الذي مهّد لبروز تصوّف سنّيّ ولائيّ كان للطّابع المحلّيّ بصمته الواضحة في تركيبته ومظاهره ببلاد المغرب. وقد شهدت إفريقيّة الحفصيّة تتاليَأدوار هذه الشّخصيات في المجتمع مثل عبد العزيز المهدويّ بتونس وأبي عليّ النّفطيّ الموسوم بالسّنّيّ أو سلطان الجريد دفين نفطة، وأبي يوسف الدهمانيّ الّذي برز دوره في استتابة الأعراب ومحاولة استمالتهم والسّيطرة على تحرّكاتهم الّتي كانت تؤدّي غالبا إلى الإضرار بمصالح العباد والبلاد. وفي هذا الصّدد، ظهرت بمنطقة الزّاب أبرز الحركات الإصلاحيّة الّتي أسّسها أحد أفراد هذه القبائل البدويّة وهو سعادة الرياحي[8]، فهو ينحدر من بطن إحدى شعوب رياح بمدينة طولقة. وكانت أمّه تدعى خضيبة وكانت في أعلى مقامات العبادة والورع. ونشأ منتحلا للعبادة والزّهد[9]، وهو ما يحيلنا إلى البيئة الأولى المساهمة في نشأة سعادة والّتي كان لها الأثر البالغ في تحديد مساراته الدّينيّة. ثمّ ارتحل إلى المغرب الأقصى ولقي شيخ الصّالحين والفقهاء لذلك العهد بنواحي تازة "أبا إسحاق التّسوليّ"[10]، فلازمه وتفقّه عليه، وهو ما يعبّر عنه برحلة طلب العلم. فأخذ عنه شرح رسالة ابن أبي زيد القيروانيّ، و"المدوّنة" لسحنون[11]، وهو ما يبيّن لنا طبيعة العلم الّذي تلقّاه سعادة الرّياحي من عقيدة وفقه عن المشايخ المالكيّة[12]، إلى جانب تربيته الرّوحيّة الّتي تأثّر بها منذ صغره، والّذي سيكون له دور كبير في صياغة شخصيّة الشّيخ المصلح أو الملهمالروحيّ لأتباعه من الأعراب.

2.1 مبادئ الدعوة الإصلاحيّة :

رجع سعادة الرّياحي إلى وطن رياح "بفقه صحيح وورع وافر"[13].ووجد الأرضيّة السّياسيّة والاجتماعيّة والنّفسيّة الملائمة لنشر أفكاره وما تعلّمه من شيوخه في وسط قبليّ كثرت فيه الصّراعات بين القبائل وبين فروع القبيلة الواحدة وهو ما أحدث نوعا من الفراغ الكاريزماتيّ الّذي حاولت حركات الإصلاح الصّوفيّ السّنّيّ الولائيّ ملأه دون عناء شديد[14]، وهو ما عزّز دور الظّروف التّاريخيّة الّتي عرفتها إفريقيّة خلال الفترة الحفصيّة في تحديد معالم التّجربة الولائيّة، كما لاننسى نسبه من هذه القبائل فهو من رياح، لا سيّما وأنّ الشّرف والحسب لدى هذه القبائل – بما هي سلطة معنويّة لا مادّيّة– معتبر عندهم عند الرّغبة في الزّعامة أو الإصلاح أو الوصول إلى غاية منشودة في قبيلته، الأمر الّذي سييسّر لسعادة نشر دعوته. وقد كانت أولى خطواته الإصلاحيّةأن اتّخذ من طولقة مركزا علميّا، فلا شكّ في أنّه سيسعى إلى نشر ما تعلّمه وسط مجتمعه. وابتنى لذلك زاوية أو رباطا بالقرب من مدينة طولقة[15] على حدّ عبارة ابن خلدون. وهنا وجب تحديد مفهوم الرّباط بحكم وظائفه وليس بحكم المؤسّسة، ذلك أنّه ليس كلّ من حمل صفة المرابط هو بالضرورة نزيل رباط من الرّباطات، فكما تبدو من كتاب "التشوّف"، يمكن إيجاز وظائف الرّباطفي أنّهقد يكون مسجدا، أو قد يكون الرّباط مقرّ سكنى الوليّ، أو المكان الّذي يجتمع فيه الصّالحون[16]، والأقرب إلى الواقع هو أنّه تجتمع فيه جلّ هذه الوظائف، فيكون المكان الّذي يتعلّم فيه طلّاب العلم ويكون مأواهم في نفس الوقت، فأمام توافد النّاس على دعوة سعادة وكثرة أتباعه ستصبح الحاجة ملحّة إلى مكان يؤوي الوافدين ويطعمهم ويؤمّن للبعض حاجيات حياتهم، مكان يستريح فيه المسافر ويلوذ به الهارب طلبا للحماية في وقت تصاعدت فيه أعمال العنف بين القبائل وداخل فروع القبيلة الواحدة، الأمر الّذي فسح المجال

للوليّ ليوسّع نفوذه في غياب السّلطة السّياسيّة أو بسبب بعدها عن مواقع الصّراع، وهكذا عرفت هذه المرحلة من تاريخ إفريقيّة نشأة أولى زوايا الأرياف الدّاخليّة ببلاد المغرب لتستقبل زوّار الشّيخ وطلبته ومريديه وتدريس العلم والقرآن وتقدّم الطّعام، وهذا يعتبر نقلة نوعيّة في وظيفة الزّاوية خلال القرن الثّامن الهجريّ الّتي تميّزت بانتعاش وظائفها مقارنة بالقرن السّابع الهجريّ، وهذا يعتبر من مميّزات زاوية الرّياحي، وقد أوضحت نللي سلامة العامري أنّه من النّادر جدّا أن تجتمع هذه الوظائف في الزّوايا خلال القرن السّابع باستثناء زاوية أولاد سهيل[17]. أمّا الخاصّيّة الثّانية الّتي تميّزت بها هذه الزّاوية من النّاحية العلميّة فهي أنّها اقتصرت على تعليم العلوم الدّينيّة من قران وعقيدة وفقه حسب ما أورده ابن خلدون، لا سيّما وأنّنا لم نعثر على مصدر آخر حول تاريخ هذه الزّاويةوخصائصها، فتمثّل هذه الزّاوية نمطا جديدا من الزّوايا بإفريقيّة وبلاد المغرب عموما. فلم يجمع صاحبها –حسب ما وصلنا من المصادر– بين الفقه والتّصوّف كما كان سائدا عند العديد من أصحاب الزّوايا.

يبدو أنّهذه المؤسّسة الّتي اضطلعت بهذا العدد من الوظائف ستتجذّر خلال العهد الحفصي، فتقديم تلك الخدماتوتلك الوظائف تجاوزت الإطار المؤسّس لها والأصليّ أي المؤسّسة الأمّ (الرباطات على السواحل والثغور)[18]، لتمارس في أطر أخرى كالرّابطة والمسجد والزّاوية فما من مؤسّسة من مؤسّسات التّصرّف إلّا واضطلعت بجملة هذه الوظائف[19]. وقد أخذ سعادة على كاهله محاولة تغيير نمط هذا المجتمع القبليّ علميّا وعمليّا متخذا من رباطه أو زاويته مركزا لجملة من الوظائف.

– **الوظيفة التّعليميّة**:أخذ سعادة الرّياحي على عاتقه نشر المذهب السّنّيّ المالكيّ بنواحي بسكرة، فجلوس الأولياء لإقراء القرآن أو العلوم الدّينيّة سيسهم في زيادة نفوذهم، فدور هؤلاء الأولياء كبير وبارز في نشر التّعاليم الدّينيّة وسط المجتمع القبليّ

داخل إفريقيّة[20].وسيمثّل هؤلاء شريحة مجتمعيّة مميّزة، تحظى بالاحترام والتّقدير والمهابة إلى حد المبالغة والغلوّ أحيانا فهم مطّلعون على أصول الدّين ويقرؤون القرآن ويعلّمونه[21]، لا سيّما في وسط مجتمع يغلب عليه الجهل وتطغى عليه مظاهر العصيان والابتعاد عن الدّين. ثمّ إنّ ظاهرة تحوّل بعض الزّوايا إلى مؤسّسات لتعليم القرآن وتدريس العلوم الدّينيّة كانت الأكثر انتشارا في تلك الفترة بإفريقية وبلاد المغرب عموما. فاشتهر سعادة الرّياحي بعلمه وفقهه وكثر أتباعه من قومه وغيرهم واشتهروا باسم أهل "السّنّة" أو "المرابطين"[22]، وتعود تسميتهم بالسّنّة لحرصهم إلى إحياء معالم السّنّة ونشرها في مجتمع تفشت فيه مظاهر البدع والخرافات والانحراف عن الدّين القويم. أمّا تسميتهم بالمرابطين فتحمل عدّة أبعاد، فيمكن أن يكون ذلك نسبة إلى المكان الّذي اتّخذوه مركزا لدعوتهم ونشاطهم، فكان رباطا في مواجهة مظاهر الحرابة الّتي كانت منتشرة وسط المجتمع البدويّ، فيكون دور هذا الرّباط هو حماية القوافل المارّة من خلاله أو أن يأوي الملتجئين إليه واللاّئذين به من غرر قطع الطريق[23]، كما يمكن أن يقصد بذلك فعل المرابطة حيث يعتكف الشيخ وحوله تلامذته ينهلون من علمه[24]، كما يمكن أن تكون تسميتهم بالمرابطين تيمّنا بالدّولة المرابطية والتي عرف عنها أنّها دولة الفقهاء[25]، وعرف عنها تمسّكها الشّديد بالسّنّة والفقه المالكيّ لا سيّما وأنّ سعادة الرياحي قد درس بالمغرب الأقصى وربّما تأثّر بما تركوه من مؤلّفات علميّة بعد سقوطهم على يد الموحّدين لكنّ هذه الفرضيّة تبدو مستبعدة لاسيّما وأنّ أسلافه قد كانوا في خلاف مع الدّولة المرابطية في أواخر عهدها[26]. وقد مكّنته وظيفته في تعليم النّاس من زيادة نفوذه ومكانته داخل المجتمع القبليّ، الأمر الّذي سييسّر انتقاله إلى المراحل العمليّة لدعوته.

– **القضاء على ظاهرة الحرابة**:فقد تجسّد البعد الإصلاحيّ العمليّ لهذه الحركة من خلال محاولة القضاء على ظاهرة قطع الطّرق وسلب المسافرين والإغارة على النّجع، إذ تجمع المصادر على ذكر ما تسمّيه "إذاية الأعراب" الّتي أطنبت في الحديث عنها. فقد كتب العبدريّ في رحلته المغربيّة واصفا إفريقيّة عند اجتيازه عليها:" لا يسلكها إلّا مخاطر ولا يعدم من عربانها إيلام خاطر...شديدة الإهمال، غير سديدة الأحوال...عمرانها خراب...حلّت بها الآفات والمحن...فما يمرّ بتلك المسالك، ولا يخطر على تلك المعابر عابر...إلّا انقضوا عليه انقضاض الصّقور على البغاث"، إنّ هذا الوصف رغم ما يعتريه من مبالغة لا بدّ وأنّه يشتمل على جانب من الصّحّة ويعكس عقليّة الأعراب بإفريقيّة في تلك الفترة[27]، ثم إذا كان هذا وصف العبدريّ للطّريق الّذي سلكه شمال إفريقيّة، فكيف سيكون حال الواجهة الدّاخلية لإفريقية ونعني بذلك جنوب سلسلة الأوراس أي بلاد الزاب، وفي هذا الصّدد ينقل لنا ابن خلدون حادثة تقبّض بعض قبائل الأعراب على أحد أمراء المزنيّين الّذي لم ينج من قبضتهم إلا بعد أن افتدى نفسه[28]، فإذا بلغ قطع الطّرق على الأمراء، فكيف بعامّة النّاس؟ فكان دور هذه الحركة هو تأمين الطّرقات والسّعي للقضاء على مظاهر قطع الطّريق والحرابة، وهو ما شجّع السّكّان على الانضمام لهذه الحركة. بل إنّ دعوة سعادة أخذت بعدا أوسع تجاه مظاهر السّلب والإغارة، فقد فتح أمام فصائل البدو من المحاربين باب التّوبة والعمل على إدماجهم التّدريجيّ في معترك الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة والّذي ربّما سيكون أكبر تحدّ يخوضه سعادة الرّياحي خاصّة فيما يتعلّق بإقدامه على ترويض "الأعراب (وهم) أشدّ (النّاس) كفرا ونفاقا"[29] وفقا لمنطوق القرآن على التّمسّك بأحكام الشّرع وأداء فرائضه، وعدم التّعرّض للنّاس في أرزاقهم وفي أنفسهم[30].

– الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر:أمّا البعد العمليّ الثّاني لهذه الدّعوة فهو أنّها قامت على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكرالّذي يعتبر من ركائز الدّين الإسلاميّ، وقد سعت جلّ الفرق والطّوائف الإسلاميّة عبر التّاريخ العربيّ الإسلاميّ إلى التّمسّك بهذه الرّكيزة على اختلاف فهمهم للمصطلح، وذلك ربّما لتبرير شرعيّة وجودهم في المجتمع والدّولة[31]. ويبدو أنّ سعادة الرّياحي حاول تطبيق هذا المفهوم داخل مجتمعه، فبدأ بأقاربه وعشيرته ثمّ أخذ يتوسّع في ذلك فشملت دعوته مريديه وأتباعه من القبائل وما يتطلّبه ذلك تغيير العوائد والأخلاق داعيا إيّاها إلى نبذ صراعاتها الدّاخلية، الّتي لن تزيد إلّا في ضعفها وهوانها، وهي محاولة منه إلى تشتيت الخلافات فيما بينها والسّعي إلى إقامة وحدة هذه القبائل كمرحلة أولى لترسيخ مشروعه الإصلاحيّ الّذي يطمح إلى نشره وسط القبائل البدويّة. كما كان تغييره للمنكر من خلال القضاء على ظاهرة قطع الطرق وسلب المسافرين والإغارة على النّجع والمزارع، فهذا يعتبر بعدا أساسيّا في تجربة الولاية في الوسط القبليّ.

فالدّعوة الدّينيّة لها مفعول متعدّد وسط القبائل، فمن جهة يعمل الدّين المتمثّل هنا في "الولاية" على "جمع القلوب وتأليفها" وذلك يزيل الخلافات والصراعات بين فروع هذه القبائل وتتحقّق الوحدة الكبرى الّتي يسعى سعادة الرياحي إلى تحقيقها، ومن جهة ثانية ستصرف دعوة سعادة "الطبيعة العدوانية" التي تجسمت في حياة الغزو والحرابة من أجل نشر الدين وتعاليمه وإقامة مجتمع متماسك[32]، فقد كان دأب الأولياء والصالحين هو الحرص على مبدأ التكافل الاجتماعي، فقد كانوا يحرصون على جمع المعونات من الأغنياء لتسديد حاجيات الفقراء خاصة في زمن الشدائد كالجفاف والمجاعات والكوارث الطبيعية[33].

وعلى إثر النجاح في توحيد هذه القبائل، يمكن لسعادة مخاطبة السلطة السياسية وتصويب سلوكها السياسي والمالي بما لا يضرّ بالمجتمع، وذلك بفضل ما يمتلكه من مكانة وسط القبائل.

– مطالبة الحكام بإلغاء المكوس: رزحت الفئات الشّعبية بإفريقية في الفترة الحفصية تحت وطأة الاستغلال الإقتصادي والمجابي والأداءات، مع ما شهدته البلاد من تقهقر للفلاحة أسهم في ضعف أو انخفاض مداخيل الفئات الّتي كانت تعيش من الحرث والأرض على النّحو الّذي شرحه ابن خلدون، وقد أثقل ابن مزني كاهلهم بالجباية وغلبهم على الضواحي فيذكر ابن خلدون:" ودفعه إلى مزاحمة العرب في جبايتها وانتهاش لحومها إذ كانوا قد غلبوا على سائر الضواحي فساهمهم في جبايتها حتى كاد يغلبهم عليها"[34]، ونافسهم في نيل المرتبة لدى السّلطان وهو الأمر الذي وتّر العلاقة بين السّلطة المزنية والقبائل. وفي ظلّ هذا الظّرف اعتبر سعادة الرّياحي أنّ هذه المكوس والمجابي تثقل كاهل الرّعية فضلا على أنها مخالفة للشريعة الإسلامية حسب نظره، فكان أساس حركته الدعوة إلى ترك المكوس التي يرى فيها ظلما وتعدّيا على أرزاق النّاس، كما اعتبرها أنها ضريبة محدثة غير شرعية وتثقل كاهل الرعية. وقد اعتبرتها القبائل خطوة هامة في دعوة الرياحي لا سيّما وأنها كانت كثيرا ما تتعرض إلى حملات المزنيين لجمع الجباية وقد أضرّ ذلك بمكانتهم الاجتماعية. وقد دفع ذلك إلى المزيد الاصطفاف في دعوة الرياحي على الأقل ظاهريا، فعكس ذلك تأثير مؤسسة الولاية أو الشيخ في الوسط القبلي[35]والذي أصبح هذا الأخير متضامنا مع دعوة الوليّ على حساب رابطة الدم فتغلغلت الأفكار الدينية التي يمثلها التصوف السنّي في فروع أعراب بني سليم وبني هلال.

2–الطموحات السياسية لحركة سعادة الرياحي :

1.2 الولاء القبلي للدعوة الدينية الإصلاحية :

اتسعت دعوة الرياحي لتشمل القبائل البدوية المتضررة من سياسة المزنيين، وقد اتخذوا من زاوية طولقةمركزا لهم، وكان من أشهرهم: أبو يحي بن أحمد بن عمر شيخ بني محمد بن مسعود من الذواودة، وعطية بن سليمان بن سباع شيخ أولاد سباع بن يحي منهم، وعيسى بن يحي بن إدريس شيخ أولاد إدريس من أولاد عساكر منهم، وحسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة بن يحي بن دريد بن مسعود منهم، وهجرس بن علي من أولاد يزيد بن زغبة[36]، وهو ما يحيلنا إلى تجاوز حركة سعادة الإطار القبلي الضيق[37]، حيث أن الدين باستطاعته أن ينتقل من إطار ضيّق إلى إطار أوسع وسط العصبيات القبلية، فيكون التحول من التعصّب للنسب الخاص إلى التعصب إلى النسب العام بفضل العقيدة الدينية التي جعلت منه "خير أمة أخرجت للناس" تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر[38]، وهنا لا بدّ من تفسير هذا التحول في ذهنية القبائل التي كانت رافضة لخضوع لأي سلطة وقبولها بالانضواء تحت سلطة الوليّ. يبدو أن سلطة الوازع الديني قد نجحت في فرض وجودها على المجتمع، لا سيما وأن الحاجة إلى الوازع[39] تفرضها طبيعة الإنسان نفسه، باعتباره كائنا مجبولا على الخير والشر والتعاون والعدوان، فيتطلب ذلك وجود نوع من السلطة تحفظ للمجتمع تماسكه[40]، فكان ذلك عن طريق سلطة الوليّ، كما يقرّر ابن خلدون بوضوح أن ملك هذه القبائل لا يحصل لهم إلا بصبغة دينية من ولاية أو أثر عظيم من الدين ذلك أنّ "الصّبغة الدّينيّة تذهب بالتنافس والتّحاسد الّذي في أهل العصبيّة وتفرد الوجهة إلى الحقّ فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء لأنّ الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم وهم مستميتون عليه"[41]. والوجهة والمطلوب عندهم هنا هو التخلّص من تعسف سلطة المزنيين، إذ يمكن تفسير قبول هذه القبائل الدخول في هذه الدعوة بالحيف الذي لحقها نتيجة

السياسة الجبائية المتّبعة ضدهم من قبل الأمراء المزنيين والذي أرهق كاهلهم، وكذلك ظهور تراجع ملحوظ لعصبيتهم القبلية بسبب صراعاتهم الداخلية، فقد نجحت السلطة السياسية في بثّ مظاهر الفرقة بينها من خلال اعتمادها على شق من هذه القبائل في مواجهة الشق الثاني وهو ما يضمن للمزنيين التوازن القبلي والاستقرار لحكمهم. أدّى ذلك إلى قبولهم بالخضوع تحت سلطة الولاية في محاولة منهم لإعادة خلق وحدة بين مجموعة القبائل وتكوين عصبية قبلية قوية تضمن لهم إعادة التوازن في مواجهة سلطة بسكرة، وهو ما يفسّر إقبال الكثير من أتباع هذه القبائل وخاصة المستضعفين منهم للانضمام لسلطة سعادة الرياحي. من ناحية ثانية يمكن تفسير انضواء القبائل البدوية تحت سلطة سعادة الوليّ في محاولة منهم في كسب نفوذ الوليّ ورصيده الشعبي والأخلاقي والروحي في إطار البحث عن مشروعية لتحركاتهم، وبصورة أخرى يمكن القول إنّ غاية هذه القبائل من "خلال الوليّ وبواسطته" أن يخلق لهم مكانة وشوكة للردّ على مظاهر العنف المسلّط عليهم من قبل القبائل المناوئة أو من طرف السلطة السياسية.فكثر بذلك أتباعه واستظهر بهم على شأنه في "إقامة السنة وتغيير المنكر". فاستكملت هذه الجماعة قوتها واشتدت شوكتها دخلت في مرحلتها العملية، فأخذت في شن الغارات على العصاة المحاربين وقطاع الطرق، ومن هذا المنطلق نتبين تأثير الولاية في الوسط الأعرابي والتي أثرت على نمط التضامن القبلي وعلى رابطة الدم التي كانت تحكمهم، فمن يتوب من الأعراب يصبح يقاتل إن لزم الأمر أبناء جنسه بل أفراد عشيرته ممن يحاربه مؤثرين من جانبهم أيضا المصالح السياسية والاقتصادية على الرابطة الدموية.

كما أنه بانضمام شيوخ القبائل لهذه الدعوة، يظهر قدرة حركة سعادة الرياحي على تجاوز الإطار القبلي الضيق لتشمل جميع القبائل التي تتفق معها في المبادئ والغاية، ثم

إن ما شجع إقبال الناس على الانضمام إلى هذه الحركة هو قدرتها على استقطاب المستضعفين وهذا أمر هامّ، إذ أنه على مرّ التاريخ العربي الإسلامي، تعد طبقة المستضعفين أساس وعماد الحركات الاحتجاجية أو الثورية في محاولة منهم للخروج من أسفل الترتيب الاجتماعيوتحسين وضعيتهم الاقتصادية المتردية وتحقيق العدل الاجتماعي[42].

2.2 المواجهة بين مؤسسة الولاية والسلطة السياسية:

تخطت دعوة سعادة الرياحي مجال القبائل البدوية، فأصبح متشددا على الولاة والحكام كثير المؤاخذة لهم بسبب كثرة الجباية وإرهاق الناس بأموال الخراج، فكان ذلك من أسباب انتشار دعوته بالرّاب، وهنا نلاحظ تفرّد هذه الحركة عن غيرها من الحركات الولائية، فقد كان السائد في افريقية أن الحركات الولائية لم تكن تخرج عن إرادة السلطة السياسية الحفصية، بل أن السلطة نفسها تسعى لكسب تأييدالوليّ لتحقيق مشروعية حكمها[43] أو للاستعانة بها في توطيد الأمن ومجابهة تحركات القبائل البدوية أو أن تتوسط حكمًا بين شرائح متناحرة في الدولة[44]، أما أن تتحول سلطة الولاية طرفا رئيسيا في مواجهة السلطة القائمة فيعدّ ذلك سابقة في تاريخ حركات الأولياء في علاقتهابالسلطة السياسية. ويمكن تفسير ذلك بعاملين داخلي وخارجي، فداخليا اتسمت طبيعة هذه الحركة باندماج الديني بالقبلي والتقت مصالح كلا الطرفين فسعادة يبحث عن السلطان الذي من خلاله يستطيع إنفاذ دعوته ونشرها حيث أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتمّ[45]، في حين رأت هذه القبائل في دعوة الرياحي سندا لها في تحقيق شرعية أهدافها. فالعلاقة بين العصبية والدين علاقة تأزر وتعاضد وتكامل: فالعصبية تمنح الدعوة الدينية قوة وفاعلية، ومن جهتها فإنّ الدعوة الدينية تزيد من قوة

العصبية[46]. أما العامل الخارجي فيتمثل في اعتبارهم أن السلطة المزنية هي سلطة محلية طرفية ولا تمثل السلطة المركزية الحفصية إلّا شكليّا. فسيكون صراعهم مع المزنيين لا مع سلطة الحفصيين. وفي هذا الإطار طلب سعادة الرياحي من عامل الزّاب منصور بن فضل بن مزني (1294-1325م) المستقرّ ببسكرة[47]، بإعفاء الرعية من المكوس والضرائبالتي أثقلت كاهلهم لا سيما وأن النشاط الأساسي لهذه القبائل هو الفلاحة الغير مستقرة في مداخيلها لاضطراب الظروف المناخية، إلا أن المنصور المزني امتنع من ذلك، ورأى في ذلك تجاسرا على سلطته الحقيقية وتهديدا لنفوذ دولته المالي، علما وأن الإمارة المزنية كانت تعوّل كثيرا على أموال الجباية وهو أمر متعارف عليه بين الدول خلال الحقبة الوسيطة. ولا سيما الدولة الحفصية الممثلة في سلطة المزنيين، وقد كانت تعتبر المناطق الداخلية المصدر الأساسي لجباية المخزن الحفصي الذي لا يمكن أن تعادله عائدات التجارة المتوسطية[48]. وعلى إثر ذلك عزم ابن مزني على الإيقاع بسعادة الرياحي، فحال دون القضاء عليه عشائر أصحابه.وهنا نرى تعنت السلطة السياسية أمام هذا التحدي الذي يمارسه الوليّ وأتباعه، وسيعتبر هذا الحدث منعرجا حاسما في تاريخ هذه الحركة، ذلك أن محاولة السلطة السياسية المساس بأحد رموز "القدسية" لدى العامة يعتبر أمرا مستهجنا ولا يجب السكوت عنه، وبالفعل قرر أتباعه مبيايعته على إقامة السنة والموت دونه في ذلك، وعلى إثر هذه الحادثة انتشر أمر السنية بين القبائل الأخرى لما رأوا فيه من الشدة في سبيل إنفاذ دعوته المناصرة لهم من خلال إلغاء المكوس وتخفيض الجباية عنهم.

عجز المنصور ابن مزني عن مواجهتهم بسبب تحالفهم مع بعض قبائل الذواودة.فأرسل إلى الأمير أبي البقاء خالد صاحب بجاية الحفصية إذ كانت الزّاب تتبع سلطانه، فأمده بالعساكر والجيوش، وأوعز إلى أهل طولقة بالقبض على سعادة الرياحي، وريثما

تكاملت قواهم زحفوا على مدينة بسكرة وحاصروها سنة1303م فيذكر ابن خلدون:" ثم جمع أصحابه المرابطين وكان يسميهم السنية وزحفوا إلى بسكرة وحاصروا ابن مزني سنة ثلاث وسبعمائة وقطعوا نخيلها، وامتنعت عليهم فرحلوا عنها. ثم أعادوا حصارها سنة أربع وسبعمائة وامتنعت فرحلوا عنها. ثم أعادوا حصارها سنة أربع وسبعمائة، وامتنعت. ثم انحدر أصحاب سعادة من الذّواودة إلى مشاتيهم سنة خمس وسبعمائة "[49]. ومن هذا المنطلق نتبين قوة كلا الطرفين من خلال تكرر مهاجمة سعادة عاصمة بني مزني ومن جهة أخرى يظهر لنا منعة بسكرة وصعوبة اختراقها، وقد تجلّى لنا أيضا انقسام الذواودة بين الفريقين في هذه الحرب، فالأول آثر المصالح الاقتصادية والسياسية على رابطة الدم مظاهرة لابن مزني ضد سعادة الرياحي، وأما الفريق الثاني فقد فضّل الدعوة الدينية وسلطة الولاية على الانضواء تحت السلطة السياسية، مما عمّق الصراع داخل القبائل العربية للسيطرة على ضواحي الزّاب.

فالدّعوة الدّينيّة والمتمثلة هنا في سلطة الولاية أو الزاوية تعدّ شرطا مكمّلا للعصبيّة للوصول إلى السّلطة، وهي الوسيلة الوحيدة التي تمكّن البدو من السيطرة على البلاد ومن هنا فإنها تحتاج بالضرورة إلى عصبيّة تدافع عنها وتظهرها[50]، وهو ما يفسر لنا التكامل بين دعوة سعادة الرحماني؟؟؟ والبعض من قبائل الذواودة.

وبعد فشله في اقتحام بسكرة، قرّر سعادة التوسع على مليلي إحدى مدن الزّاب، فاستصرخ أهلها بابن مزني فأنجدتهم عساكره والعساكر السلطانية المقيمة ببسكرة واشتدت الحرب بين الطائفتين وأسفرت هذه الوقعة عن قتل الزعيم سعادة وحمل رأسه إلى منصور ابن مزني[51].لكن مقتله لم ينه هذا الصراع بل زاد في شدته بقيادة أبي يحي بن أحمد شيخ أولاد محرز من الذواودة [52]، فشنوا الغارات على بسكرة وقطعوا نخيلها وهزموا منصور ابن مزني وقتلوا ابنه علي قائد العسكر المزني، كما أدّت هذه المعارك إلى

أسر عدد كبير من رؤساء المزنيين، ثم سكنت الحرب بينهما على إثر إبرام هدنة، والتي لا نعرف في الحقيقة أيّ تفاصيل عنها إلا أنه على ما يبدو هو إعفاء هذه الطائفة والقبائل المنضوية تحتها من دفع الجباية. وخلال فترة المهادنة بين الطرفين تمكنت الطائفة السنية من الاتفاق على من يقيمونه بينهم في الفتيا في الأحكام والعبادات ونشر مبادئها الإصلاحية فكان الاختيار على الشيخ أبي عبد الله محمد بن الأزرق المقري، وكان قد أخذ العلم ببجاية على أبي محمد الزواوي من كبار مشيختها، فقصدوه بذلك وأجابهم وارتحل معهم. ونزل على حسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة، واجتمع إليه السنية خاصة من أولاد سباع، وقرّروا مواصلة المواجهة مع المزنيين، إلا أن الأمير المزنيفضّل استمالتهم بتولية شيخهم منصب الفتيا ببسكرة وهو شكل من أشكال المشاركة في تسيير شؤون الإمارة وذلك حلّ لإنهاء هذا الصراع.

3– احتواء السلطة المزنية لمؤسسة الوليّ :

1.3 استمالة رموز الطائفة السّنيّة :

عمد يوسف ابن منصور (728-765هـ/1329-1365م)إلى استمالة شيخ الطائفة السنية "محمد ابن الأزرق المقرّي" بتوليته منصب القضاء ببسكرة، فيذكر ابن خلدون:" ونزل ابن الأزرق بسكرة فاستدعاه يوسف بن مزني لقضائها تفريقا لأمر السنية، فأجابه ونزل عنده، فولاّه القضاء ببسكرة"[53]، وذلك مظهر من مظاهر الاعتراف بسلطتهم وشكل من أشكال تشريكهم في تسيير شؤون الإمارة لا سيما ما يحمله منصب القضاء من مكانة بارزة خلال الفترة الوسيطة، إذ به يعمّ العدل بين الرعية وهي أحد الغايات التي كانت تطمح إليها الطائفة السنية في دعوتها. كما يؤكد هذا الأمر قدرة السلطة السياسية على احتواء سلطة الولاية أو ما يصطلح عليه بتحييد

الزاوية عن الأمور السياسية، فأدّى ذلك إلى تفرق أمر السنية وقتيا، فقد بقيت جماعة من المرابطين الذيركنوا إلى السلم بطولقة، ولم تبق لهم حجة لمواجهة السلطة، إلا أنه بعد وفاة ابن الأزرق صاحب منصب القضاء، قررت الطائفة السنية المواجهة من جديد، فقويت شوكتهم بأن جاءهم المدد من ناحية ريغ الذين ملّوا جمع الجباية والضرائب من المزنيين والتي أثقلت كاهلهم، فقد كانوا يتحينون الفرصة للتمرد على المزنيين، وتم تحالف كلا الطرفين سنة740هـ/1340م فأعادوا حصار بسكرة وأطالوا حصارها لكنهم عجزوا عن اقتحامها مرة أخرى. ومن هذا المنطلق لم يكن الوازع الديني هو أساس تحركاتهم بل كان يدفعهم إلى ذلك الظرفية الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها سكان الزاب، فلا يمكن تفسير هذا التحالف بين القبائل العربية القاطنة بنواحي بسكرة وبين القبائل البربرية المستقرة بوادي ريغ وتقرت إلا باتفاق المصالح واجتماع الغاية وهو التخلّص من المزنيين، فتراجعت مكانة الدعوة الدينية لهذه التحركات وأخذت أبعادا سياسية واقتصادية مستغلة في ذلك الإرث أو الجاه الاجتماعي والديني المستمدّ من تاريخية زاوية طولقة. وقد كان على رأس هذه الجماعة علي بن أحمد من شيوخ الذواودة الذي كان أحد أنصار سعادة سابقا إلا أن هذا لايخفي الوازع القبلي الذي يمتلكه الرجل مستغلا رصيده الديني في نصرة تحركاته، وقد فشلوا في اقتحامهم لبسكرة، فقرّر الدخول في طاعة ابن مزني من جديد.

2.3 مصير زاوية طولقة:

حظيت زاوية طولقة بمكانة مرموقة من الخاصة والعامة مستمدّة من شخصية مؤسسها وما بذله من جهد في إقامة الدين بين القبائل البدوية، فبالنسبة للسلطة السياسية قد أوجب ابن مزني لأنصار سعادة والذين اعتزلوا الحرب ورابطوا بالزاوية الرعاية لمحاولة احتوائهم واستثمار نفوذهم المعنوي فيذكر ابن خلدون:" وبقي من عقب سعادة في

زاويته بنون وحفدة يوجب لهم ابن مزني الرعاية، وتعرف لهم أعراب الفلاة من رياح حقا في إجازة من يجيزونه من أهل السابلة"[54]، وهو ما يبيّن لنا المكانة التي أصبحت تحظى بها مؤسسة الزاوية من مكانة اجتماعية ومن عناية من طرف السلطة السياسية.بل أن إشعاعها تجاوز بلاد الزاب ليشمل المغرب الأوسط وخصوصا الطائفة الحاكمة، فقدكان السلطان أبو تاشفين(717-737هـ/1318-1337م) يبعث إلى هؤلاء السّنية بالجوائز يستدعي بذلك ولايتهم.ويبعث معهم للفقيه أبي الأزرق بجائزة معلومة في كل سنة[55]. وهذا أمر غير مستغرب البتّة من الزيانيين، فقد دأبوا منذ حكم يغمراسن (633-681هـ/1236-1282م) وابنه أبي عثمان(681-703هـ/1282-1305م) على الاحتفاء والتقدير بالحركات الولائية، ليس بدافع التخوف من نفوذهم أو لأجل استثماره في خدمة دولتهم الناشئة ولكن من باب التبرك وتقديس الأولياء والاعتقاد فيه[56]. لكن يبدو أن هذا السلوك لم يكن بريئا في باطنه خلال هذه الفترة بالتحديد، بل كان يرمى من وراءه إلى أهداف أخرى فرضتها الظرفية التاريخية، فقد كانت العلاقة بين الزيانيين والمزنيين ظرفية وغير مستقرّة تحكمها المصالح وميزان القوى ببلاد المغرب[57]، فربما يكون هدف الأمير الزياني من هذا التقرّب هو كسب الولاء القبلي للطائفة السنية واستثماره لإيجاد نفوذ لدولته في دواخل المغرب الأوسط لا سيما وأنّ دولته في صراع مستمرّ مع الحفصيين والمرينيين.

أما بالنسبة لأثر هذه الدعوة على القبائل بعد موت رموزها، فيذكر ابن خلدون:" وبقي هؤلاء الذواودة ينزع بعضهم أحيانا إلى إقامة هذه الدعوة، فيأخذون بها أنفسهم غير متصفين من الدين والتعمق في الورع بما يناسبها ويقضي حقها، بل يجعلونها ذريعة لأخذ الزكاة من الرعايا، ويتظاهرون بتغيير المنكر يسرون بذلك حسدا في ارتقاء"[58]. فرغم تحامله المعروف على الأعراب، فقد استطاع ابن خلدون أن ينقل لنا واقع هذه

الزاوية بعد موت زعمائها لا سيما وأنه قد استقرّ ببسكرة لمدة لا تقلّ عن 9 سنوات[59]، واستطاع أن يؤرخ لأطوار هذه المنطقة وخاصة في علاقة الديني بالمجتمع. فيظهر أن قبائل الذواودة قد استغلت انتمائها للطائفة السنية وفرضت سلطتها على الناس انطلاقا من وجاهتها الدينية وتاريخها في نصرة الطائفة السنية، فأخذت على عاتقها المواصلة في هذا المضمار لكن بدون "وجه حقّ"، إذ أنه على حدّ عبارة ابن خلدون كانوا يتظاهرون باتباع مبادئ شيخهم إلا أنهم في الأصل قد حرّكتهم نوزاعهم القبلية وحادوا عن المسار الحقيقي للمبادئ الإصلاحية التي حاول سعادة الدعوة إليها والعمل على ترسيخها وسط المجتمع القبلي.

خاتمة:

قد أسهم في نجاح التجربة الولائية داخل هذا المجتمع البدوي أنها كانت منبثقة من داخل المجتمع القبلي، فسعادة قد ساعده انتماؤه القبلي "لرياح" في نشر دعوته وسط قبائلها الّذي بدّل عصبيّتها من نطاق ضيق إلى نطاق أرحب أساسها الدعوة الدينية الولائية، فنتج عن ذلك رئاسة هذه العصبية صاحبة الدعوة على باقي العصبيات المرتبطة معها، بل يصل بها الأمر إلى فرض وجودها على الدولة.فكان الالتحام الاجتماعي وهو النسب القبلي لسعادة والالتحام الروحي بين القبائل عن طريق الولاية هو الذي ضمن استمرار هذه الدعوة لمدة أربعة عقود من الزمن داخل الوسط الأعرابي بنواحي بسكرة.

التهميش:

[1] البريد الالكتروني: ali.hatay@yahoo.fr

[2] دغفوس (راضي)، *الهجرة الهلالية وانعكاساتها*، **تونس عبر التاريخ**، مركز الدراسات والبحوث القتصادية والاجتماعية تونس 2007، ج2، ص ص 59-83.

[3] Cote(M.), « *ZàB* », Encyclopédie de l'islam. Nouvelle édition etablie avec les concours de principaux orientalists. Leiden.Brill2005.T. VI.p395-397.

[4] Sourdel(Dominique et Jamine), « Walaya », Dictionnaire historique de l'Islam, Paris : Presses universitaires de France 1996,p, 848.

[5] عزاوي(أحمد)، **قضايا تاريخية خلال العصرين الموحدي والمريني: دراسة وثائقية**، الرباط 2010. ص77.

[6] Muchugh(N),« WALI », Encyclopédie de l'islam. Nouvelle édition etablie avec les concours de principaux orientalists. Leiden.Brill2005.T. XI.p120-137.

[7] راجع: عيسى(لطفي)، **مغرب المتصوفة الإنعكسات السياسية و الحراك الإجتماعي من القرن 10 م إلى القرن 17 م**، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية جامعة تونس، مركز النشر الجامعي تونس 2005، ص ص 87-148.

[8] يكاد يكون نص ابن خلدون الوحيد من المصادر الإخبارية التي أوردت لنا حركة سعادة الرياحي، وقد قدم لنا ولو بإيجاز مختلف مراحل هذه الحركة، فبوّب أخبارها في الفصل السادس تحت عنوان " الخبر عن سعادة العالم بالسنة في رياح ومآل أمره وتصاريف أحواله".

[9] ابن خلدون(عبد الرحمان)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت 1988 م ، ج 6، ص 51.

[10] هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي التازي أبو إسحاق، ويعرف بابن أبي يحي المتوفى بعد سنة 748هـ/ وكان فقيها عالما بالدين والقضاء.

[11] ابن الخطيب (لسان الدين)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، دار الكتب العلمية، بيروت 2002 ، ج1 ص 196 .

[12] يتميز الفقه المالكي بالواقعية فالغالب عليه أنه يناقش مسائل واقعية مرتبطة بالواقع المعيش، ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم، ويستند إلى المصالح المرسلة التي هي من أجلّ قواعده، كما أن فقه متجدد ويتغيّر حسب الظرفية التاريخية، وارتباطه بالأحداث الواقعة المتجددة، واستجابته لمتطلبات الناس في مختلف الظروف والبيئات، وهو ما سيسهم في تقبل القبائل البدوية دعوة سعادة الرياحي الذي ابتدأ دعوته باقراء القران ونشر الفقه المالكي بين الناس.

[13] ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ج6، ص51 .

[14]صالح علواني، « *انتشار الزّوايا في بلاد القبائل الرحل و تشكّل قبائل مرابطية ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/القرنين الثالث عشر و الخامس عشر ميلاديين* »،**Insaniyat** / **إنسانيات**، **60-61** | 2013، 111-124، ص121.

[15]مكان مخصص للعبادة والجهاد ويكون عادة على الثغور والسواحل ، للمزيد راجع:

Rabbat(N), «*RIBAT*», Encyclopédie de l'islam. Nouvelle édition etablie avec les concours de principaux orientalists. Leiden.Brill2005.T. VIII.p510-524.

[16] العامري، **المرجع نفسه**، ص99.

[17] العامري، **المرجع نفسه**، ص181.

[18]للمزيد انظر: جلول(ناجي)، **الرّباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط**، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 1999.

[19] العامري، **المرجع نفسه**، ص512.

[20] Amri(Nelly),« Zawiya et territoire en Ifriqiya du VIIe/XIIIe siècle à la fin du IXe/XVe siècle » in Juliette de La Genière, André Vauchez et Jean Leclant (dir.), Les sanctuaires et leur rayonnement dans le monde méditerranéen de l'Antiquité à l'époque moderne, Cahiers de la Villa Kérylos, N° 21, Ed. De Boccard, Paris, 2010, p. 243-294, p.265.

[21]صالح علواني، « *انتشار الزّوايا في بلاد القبائل الرحل و تشكّل قبائل مرابطية ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/القرنين الثالث عشر و الخامس عشر ميلاديين* »،**Insaniyat** / **إنسانيات**، **60-61** | 2013، 111-124، ص120.

[22] ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ج6، ص51 .

[23] Amri, *Ibid*, p.271.

[24] بونابي(الطاهر)، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين/12و13 الميلاديين (نشأته-تياراته-دوره الإجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)**، درا الهدى للطباعة والنشر والتوزيع-عين مليلة 2004، ص62.

[25]للمزيد راجع: بن حمادي(عمر)، **الفقهاء في عهد المرابطين، محاولة للتعرف على دورهم السياسي**، أطروحة مرقونة لنيل شهادة التعمق في البحث في التاريخ الإسلامي، كلية الاداب والعلوم الإنسانية بتونس 1987.

[26] بونابي، **المرجع نفسه**، ص198.

[27] العامري، **المرجع نفسه**، ص64.

[28] ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ج6، ص589

[29] سورة التوبة، الآيات 97-110.

[30] عيسى، **المرجع نفسه**، ص125.

[31] يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد ركائز الدين الإسلامي، إلا أنه بعض الطوائف الإسلامية كالخوارج والمعتزلة جعلته أصلا من أصول دعوتها في محاولة منها لتبرير مشروعية وجودها وسط المجتمع وتأثيرها في الدولة.

[32] الجابري(محمد عابد)، **فكر ابن خلدون العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، 1994، ص188.

[33] بونابي، **المرجع نفسه**، ص188.

[34] ابن خلدون ، **المصدر نفسه**، ج6 ، ص 586.

[35]العامري(نللي سلامة)، **الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي** ، دار الفارابي ــبيروت لبنان ، الطبعة الثانية 2006، ص294.

[36] كان مجال الزّاب خلال هذه الفترة مقسما بين الذواودة إلى ثلاثة مجالات مختلفة: فالجانب الغربي منه وقاعدته طولقة لأولاد محمد وأولاد سباع بن يحي، أما الجانب الوسط وقاعدته بسكرة لأولاد محمد، وفي مجالاتهم وليعقوب بن علي وهؤلاء سيشاركون في حركة سعادة الرياحي ، في حين أنّ الجانب الشرقي من الزّاب وقاعدته بادس وتنومة فهو لأولاد نابت رؤساء كرفة ولا توجد أي إشارة على تأثّرهم بالأحداث.

[37]العامري، **المرجع نفسه**، ص294.

[38] الجابري، **المرجع نفسه**، ص188.

[39]يقدم ابن خلدون نوعين من الوازع: الأول هو الوازع المادي الذي يقوم على الغلبة والسلطان واليد القاهرة، أما الثاني فهو الوازع المعنوي الذي يمارسه شيوخ القبائل وكبرائهم و الديني الذين يبرز دور هذا الأخير حسب عابد لجابري في تقوية الروابط الاجتماعية.

[40] الجابري، **المرجع نفسه**، ص163.

[41] ابن خلدون، **المرجع نفسه**، ج1، ص198.

[42] قد تغافلت مصادر التاريخ العربي الإسلامي على إيراد الثورات الاجتماعية قام بها المستضعفون والمهمشون في عصور مختلفة للخلافات الإسلامية. ويفسر ذلك من الناحية الشكلية والمضمونية، فمن الناحية الشكلية أن الكتابة التاريخية للعالم الإسلامي عموما تغلب عليه وجهة نظر مؤرخي السلطة إذ كانت هنالك وظيفة تُسمّى مؤرخ البلاط في الخلافة الإسلامية، وكان هذا المؤرخ يكتب ما يرضي النظام القائم. كما كان المؤرخون الآخرون يخافون من توثيق

الواقع حتى لا تغضب السلطة عليهم. أما من الناحية المضمونية فإنه لم يقع تأريخ الحركات الاحتجاجية للمستضعفين حتى لا تبرز سلبيات السلطة الحاكمة.

[43] العامري، **المرجع نفسه**، ص276.

[44] العامري، **المرجع نفسه**، ص279.

[45] ابن خلدون، **المرجع نفسه**، ج1، ص199.

[46] الجابري، **المرجع نفسه**، ص189.

[47] Cote (M.), « *Biskra* » , Encyclopédie berbère, T.X, Aix-en-Provence, Edisud, décembre 1991, p. 1517-1522.

[48] حسن (محمد) ، **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، ج1 ، ص530.

[49] ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ج6، ص52 .

[50] حسن (محمّد) ، **القبيلة والدّين في الدّراسات التاريخية والأنثروبولوجيّة**، مجلة التسامح، سلطنة عمان (د، ت.).

[51] ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ج6، ص52 .

[52] برانشفيك (روبار)، **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن13 إلى نهاية القرن15**، جزءان، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، الطبعة الأولى1988، ج2، ص 350.

[53] ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ج6، ص53 .

[54] ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ج6، ص53 .

[55] ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ج6، ص53 .

[56] بونابي، **المرجع نفسه**، ص201.

[57] كان ولاء المزنيين لملوك تلمسان زمن توسّعهم على بجاية قبل سنة1337م، وهو ما يظهر لنا حرص بني مزني إلى بناء تحالفاتهم مع الدول القوية والصاعدة لضمان استمرارية ملكهم. لكن هذا الولاء لم يدم طويلا فخلال التوسّع المريني الأوّل على المغرب الأوسط وافريقية(1337-1348م) بادر المزنيون بالتخلّي عن الطائفة التلمسانية والتحقوا بالطائفة الفاسية.

[58] ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ج6، ص53 .

[59] أنظر : ابن خلدون(عبد الرحمان)، **رحلة ابن خلدون**، تعليق محمد بن تاويت الطَّنجي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة الأولى2004.

بوحديبة (عبد الوهاب) و(شابوطو) رمادي منيرة، **على خطى ابن خلدون**، دار الجنوب للنشر تونس2006.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة :

- القرآن الكريم
- برانشفيك (روبار)، **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن13 إلى نهاية القرن15**، جزءان، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، الطبعة الأولى1988.
- بوحديبة (عبد الوهاب) و(شابوطو) رمادي منيرة، **على خطى ابن خلدون**، دار الجنوب للنشر تونس2006.
- بونابي(الطاهر)، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين/12و13 الميلاديين (نشأته–تياراته–دوره الإجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع–عين مليلة 2004.
- الجابري(محمد عابد)، **فكر ابن خلدون العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، 1994.
- جلول(ناجي)، **الرّباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط**، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 1999.
- حسن (محمد)، **المدينة والبادية في العهد الحفصي**، جزءان، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى 1990.
- حسن (محمّد)، *القبيلة والدّين في الدّراسات التاريخية والأنثروبولوجيّة*، **مجلة التسامح**، سلطنة عمان(د، ت،).
- بن حمادي(عمر)، **الفقهاء في عهد المرابطين، محاولة للتعرف على دورهم السياسي**، أطروحة مرقونة لنيل شهادة التعمق في البحث في التاريخ الإسلامي، كلية الاداب والعلوم الإنسانية بتونس 1987.
- ابن خلدون(عبد الرحمان)، **رحلة ابن خلدون**، تعليق محمد بن تاويت الطَّنجي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة الأولى2004.
- ابن خلدون(عبد الرحمان)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت 1988.
- دغفوس (راضي)، *الهجرة الهلالية وانعكاساتها*، **تونس عبر التاريخ**، مركز الدراسات والبحوث القتصادية والاجتماعية تونس 2007.

- صالح علواني، « *انتشار الوَلاية في بلاد القبائل الرحل و تشكّل قبائل مرابطية ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/القرنين الثالث عشر و الخامس عشر ميلاديين* »، **Insaniyat** / **إنسانيات**، **61-60** | 2013.
- العامري(نللي سلامة)، **الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لافريقية في العهد الحفصي**، دار الفارابي ــبيروت لبنان، الطبعة الثانية 2006.
- عيسى(لطفي)، **مغرب المتصوفة الإنعكسات السياسية و الحراك الإجتماعي من القرن 10 م إلى القرن 17 م**، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية جامعة تونس، مركز النشر الجامعي تونس 2005.
- مصمودي(فوزي)، *التّراب المصطلح والدّلالات*، **مجلّة أصوات الشمال**2011.
- الميلي(مبارك)، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ثلاثة أجزاء، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي بيروت1976.
- Amri(Nelly), *« Zawiya et territoire en Ifriqiya du VIIe/XIIIe siècle à la fin du IXe/XVe siècle »* in Juliette de La Genière, André Vauchez et Jean Leclant (dir.), *Les sanctuaires et leur rayonnement dans le monde méditerranéen de l'Antiquité à l'époque moderne*, Cahiers de la Villa Kérylos, N° 21, Ed. De Boccard, Paris, 2010.
- Cote (M.), *« Biskra »* , Encyclopédie berbère, T.X, Aix-en-Provence, Edisud, décembre 1991
- Cote(M.), *« ZàB »*, Encyclopédie de l'islam. Nouvelle édition etablie avec les concours de principaux orientalists. Leiden.Brill2005.
Muchugh(N), *« WALI »*, Encyclopédie de l'islam. Nouvelle édition etablie avec les concours de principaux orientalists. Leiden.Brill2005
- Rabbat(N), *«RIBAT »*, Encyclopédie de l'islam. Nouvelle édition etablie avec les concours de principaux orientalists. Leiden.Brill2005.
- Sourdel(Dominique et Jamine), *« Walaya »,* Dictionnaire historique de l'Islam, Paris : Presses universitaires de France 1996,p, 848.